

عن الكسب لعله به ، وإما أن يكون عاجزاً عن الكسب لفقد
الوسيلة إلى العمل .

فأما الذي يمجز لعله لا علاج لها فقد جعل مواساته حقا على
المجتمع لا تبرعا وتطوعاً . قال الله تعالى « والذين في أموالهم حق
معلوم للأسائل والمحروم » فصان بذلك كرامته الإنسانية .

وأما الذي يمجز لفقد الوسيلة إلى العمل فقد أوجب على الدولة
إيجاد الوسيلة لتكسبه ، وقد قبح الإسلام السؤال ودعا المسلم للترفع
عنه ، فاليد العليا خير من اليد السفلى . وقد أعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سائلا درهما وأمره أن يشتري به فاساً وجبلاً
ويحتطب ، ولا يترخص لذل السؤال .

والأصل في الإسلام هو العمل والتكسب ، وقد حض
عليه بجميع الوسائل ، حتى لقد فضله على الانقطاع لعبادة الله ،
ولكنه كذلك أنصف المجتمع بالزام الدولة أن تعين على إيجاد
العمل إن لا يجده ، وأن تحمي من يمجز عنه .

وقد أراد الإسلام أن يجعل مستوى المعيشة متناسقاً ومتقارباً
بين أتباعه ، فخارب الترف في أعلى المجتمع ، وطارده البؤس في
أسفله ، واتخذ لذلك وسيلتين : وسيلة الضمير وهي أقوامها ،
ووسيلة القانون ، فجعل الحياة السعيدة الخالدة لا تنال إلا بالإتفاق
على المستحقين من الأهل والأقربين والمساكين ، ولا ينال متاعها
المسرفون الذين جعلوا شهواتهم في هذه الحياة أهدافهم .

جعل ضمير المسلم لا يستريح إذا طعم وابس وتمتع ، وجاره
ومن حوله قد مجزوا عن القوت ، وحضه حضا قويا على البذل
والقناعة والحد من شهواته في سبيل إغاثة الملهوفين والمحتاجين ،
حتى لقد أمر أن يطعم السيد الخادم مما يطعم ، ويكسوه مما يكتسى
قال المرور بن سويد « رأيت أبا ذر رضي الله عنه عليه حلة
وعلى غلامه مثلها ، فسألته عن ذلك فقال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول « هم إخوانكم وخوكم ، جعلهم الله
تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل
وليُسلبه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل ما يثقلهم فإن
كلفتهم فاعينوهم عليه » .

ولم يكف الإسلام بإيقاظ الضمير لهذا ، بل جعل للدولة
أن تنقضي من فضلة مال الفرد شأير لا يتجاوز بها لتكفل

الفقر أفقر البشر

كيف عالجها الإسلام

رصاص السعادة الشاذ في المرمر عزيم باننا



الفقر أعظم آفات الاجتماع
البشرى ، وأعظم ما يثير السخط على
الحياة ، وأشد ما يفتح الناس في حياة
الكرامة والسكينة والاطمئنان ،
ويثير بينهم الحقد والبغضاء ، ويرميهم
بمحروب الطبقات وحروب الأمم ، فإذا

عولج المجتمع منه نجا من آثار قربيته وهما الجهل والمرض اللذان
يتبعانه ويكوئنان معه ثالث الشقاء الانساني الذي إذا خلا منه
وجه الحياة بدا جمالها ورضى الناس عن الحياة ورضى الله عنهم ...
لقد نظر الإسلام في حال الفقير فرآه إما أن يكون عاجزاً

جميعاً من المسلمين ، وإن الرابطة الاسلامية بقبدها عدة ملايين
وبنفصل عنها فريق آخر بعضهم من الشيعة وبعضهم من السنيين ،
وأن تبادل السكان بين الأقاليم الاسلامية والأقاليم الهندوسية
لتسوية عناصر القوة في جميع الأقاليم ليس بالحل الميسور ولا بتأني
إتمامه في بضع سنوات .

فربما كان نظام الاتحاد على المثال المتبع في الولايات المتحدة
أقرب إلى تسوية المشكلة مع الأخذ بالأساس المقرر في نظام
الباكستان .

وعلى ذكر الولايات المتحدة الأمريكية نعود إلى الواهين
ليفهموا مرة أخرى أن تقسيم الولايات شيء وجريمة الانشقاق
شيء آخر ، وأنه إذا جاز هذا التقسيم في بلاد كالبلاد الأمريكية
لا تفرق بين أبنائها أمثال تلك الفوارق ولا تضرهم أمثال تلك
المشكلات ، فنظام الباكستان في الهند أحق بالتدبر والمنرة
أدنى إلى القبول .

عباس محمود العقاد

وجعل هذه المساواة مستقرة في ضمير السلم ، ومالكة زمام تصرفاته في العبادة والمعاملة والأدب .

ومن فضل الدعوة المحمدية على البشر أنها تنفّض في الاستعلاء والترفع على الناس ، حتى ليكاد السلم يفر من مجرد الخطر الذي يحطر بذهنه بأنه أفضل من غيره . والسلم الصادق لا يضمر في نفسه أنه خير من خادمه مع سيطرته عليه .

والله تعالى يشتد على الرسول نفسه ويماتبه بالقرآن ، لأنه تصدى لقوم من رؤوس العرب يرجو من وراء إيمانهم إيمان أقوام يتبعونهم ، وتلهى بهم عن رجل فقير ضعيف جاء راعياً في الإيمان فقال :

« عسى وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله بَرٌّ كى ، أو يدكر فتفتمعه الذكري . أما من استغنى فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى فأنت عنه تلهى » . ولست تجد في أى تشريع احتفالاً بالفقراء واعتناء بشأنهم مثل ما جاءت به الدعوة المحمدية ، إذ تحض المسلمين على رياضة أنفسهم على احترام الغير وتقديره « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء ، عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان » .

ومنى رسخ هذا المعنى في أذهان الملوك والحكام العامة والفقراء والأغنياء والملوك والعمال كما أرادته الدعوة المحمدية ، استتحات الفرقة الاجتماعية وما يثيرها من حقد وبنفس ، وما يترتب عليها من خلاف وشر ثم قتال وحرب ، وما يكون من تسلط الأقوياء على المستضعفين ، أو ما يكون من ظهور المستضعفين واستغلالهم لمن كانوا أقوياء .

ظاهر إذاً أن مبدأ المساواة بالمعنى الإسلامى هو من أكبر دعائم البر وأنتك الأسلحة بأفة الفقر .

وقد دعا الإسلام إلى البر بكل وسيلة ، دعا إليه بالترغيب والترهيب ، ودعا إليه بقوة القانون والدولة ، فقال تعالى :

« يحقُّ الله الربا ويربى الصدقات » .

وقال « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقال « أرايت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا

بوسائلها هى أيضاً حاجات الفقراء والمساكين .

وفي الحقيقة حين يحارب الإسلام الترف والاكتناز والربا ، ويقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم . يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » . وحين يقول « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » . وحين يقول « يحقُّ الله الربا ويربى الصدقات » . وحين يقتضى الزكاة على الأموال السكونية ويحرم الربا ، إنما يريد بذلك كله أن يرفع مستوى الطبقات الفقيرة ، ويخفض من مستوى الترفين ، ليجمع حياة الجميع سعيدة متناصفة .

فتحريم الترف يوجه الأموال إلى إنتاج أكثر فائدة للجميع ، وتحريم كنزها يوجب تداولها ، وتداولها من غير ربا يؤدي إلى المشاركة فيها . وإذا لم يجد الناس في الترف لذتهم وجاههم ، وجدوها في الاحسان والبر . وإذا لم يجدوا في الكثرة ضماناً لهم وجدوه في ضمانة المجتمع الإسلامى المتكافل الذى لم يهمل أحداً ، ولم يحقر أحداً . وإذا لم يجدوه في الربا وجدوه في لذة الكسب والمشاركة مع إخوانهم الذين يعملون في أموالهم .

ولو قامت الدولة بواجبها في كفالة المتخلفين من إخواننا لا يصيبهم في أنفسهم أو أبدانهم ، أو مما يصيبهم من انقطاع السبل بهم مع رغبتهم في العمل ، وذلك بأن تكون سياستها قائمة على أساس التكافل الذى جاء به الإسلام في قول رسوله « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . فوزعت الصدقة على من لا سبيل له غير الصدقة ، ووزعت العمل على الناس بقصد الخير العام ولو على سبيل الاجبار على عمل معين للقادر عليه ، لقانلت هى أيضاً الفقر بوسائلها الفعالة .

وقد جعل الإسلام في هذا سلطات واسعة لولى الأمر ، فله في سبيل الإصلاح العام أن يحدث أقضية بقدر ما يحدث من المشكلات ، وله أن يكيف الأحوال لتسير وفق الفرض الأساسى للإسلام ، وهو الإحسان .

وقد قرر الإسلام في وضوح وعزم مبدأ المساواة ، وهو أعظم الهادى في مقاومة الشرور الاجتماعية وأخصها الفقر ،

وأدوم ، ولكن يجب كذلك أن تصرف ونجتهد كي نحقق المصداق والغاية ، وأن ننظر في عصرنا ، وموارد الثروة فيه ، ومصادر الغنى ، وحالات الناس لتكفل الخير للجماعة ورضى الله سبحانه وتعالى ، حتى يعود للظهور بيننا من كانوا يابون أن يمرضوا لوجوب أداء الزكاة عليهم بإتفاق أموالهم كلها ، حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال : أما على العوام بحكم الشرع خمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع . ولهذا المعنى تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله ، وعمر رضى الله عنه بشرط ماله .

ولا عجب فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، وروح الدعوة المحمدية واضحة في أن الزكاة وحدها لا تبرى أموال المسلمين من حقوق المحتاجين فيها ، فسادام عمل للبر والصدقة فهي واجبة ، وحق السلم لا ينتهى بأداء الزكاة . يجب إذاً أن نستلهم من شريعة الإسلام الهدى ، وأن نستوحى من روح الدعوة المحمدية نظاماً للبر تقوم عليه الدولة ، لتوازن بين الثروات والحاجات ، وتقيم التكافل الاجتماعى ، ونفضى على حرب الطبقات « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

عبد الرحمن عزام

طبعة الرسالة

تقدم

الطبعة الجديدة من كتاب :

في أصول الأدب

للأستاذ

عبد الرحمن عزام

يطلب من « دار الرسالة »

ومن المكتبات الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

يخص على طعام المسكين » وقال . « كلاب لا تسكرومون البيت ولا تحاضون على طعام المسكين » .

وكتاب الله وحياة رسوله بفيضان بفضل الإيفاق في سبيل الله ، واتخاذ الدنيا مطية للآخرة . ولم يكتف صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم بأن تكون دعوته موجهة بكل قوتها للبر بالفقراء والمساكين والضعفاء والمصابين والموزين ، بل جعل البر بهم حقاً مفروضاً لا سبيل إلى الهاتلة فيه ، حتى إن العرب لما ارتدت عن دفع الزكاة عقب وفاة الرسول ، ونصح الخليفة الأول بأن يداريهم ، وقد تفاقم الشر ، قال رضى الله عنه « والله لو منموني عقاب بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه » . أى أنه يوجه كل قوى الدول لقتال قوم يعمنون حق الفقير فيما قيمته قيمة جبل يعقل به بعير .

لحقوق الفقراء في الدولة الإسلامية مصونة ، وليس لأحد أن يمن بها فهي حق الله في ماله وكسبه وملكه ، وقد بينت الشريعة الزكاة أنواعها وكيفية أدائها ، كما بينت مستحقيها وما لهم وما عليهم بتفصيل دقيق .

وكان من أثر الدعوة المحمدية للبر والإحسان تلك الأوقاف المحبوسة على الخير في الشرق والغرب ، وكان من أثرها أن تطهرت نفوس المسلمين ، حتى حبسوا من أملاكهم على القنطط والكلاب والحيوانات . ومن أمثلة هذا أن نور الدين محمود وقف أرضاً في دمشق لتكون مأوى للحيوان الهرم ، يرعى فيها حتى يموت .

وتاريخ المسلمين في كل أوطانهم بفيض بالبر والعطف والرحمة باليؤساء والغرباء ، وما الكرم الذى كان به نجر البيوت والأسر والشعوب إلا أثر من آثار روح البر والإحسان الإسلامى .

ولم يكن البر في الدعوة المحمدية خاصاً بأهل الجنىر أو الدين ، ولكنه كان عاماً للمساكين من البشر ، فما منع اختلاف في الدين دون البر . قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتسخطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » « إنا الصدقات للفقراء والمساكين والماملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والناميع وفي سبيل الله وابن السبيل » وتنظيم البر في العصر الحاضر يجب أن يقوم على نفس الأسس والوسائل التي جاءت بها الدعوة المحمدية ، لأنها أفضل